
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

برنـــــابــــا
رسول التعزية (ابن الوعظ)

انطباعنا الثابت عن برنابا أنه إنسان ذو قلب رقيق – كثير الشفقة، والصفح وطيب إلى أبعد الحدود – ابن الوعظ. يلخص لوقا شخصيته بطريقة جميلة في هذه الكلمات المعبرة «كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان» (أع ١١:٢٤).

ثم ترد عبارة مليئة بالمغزى بعد ذلك – فحيثما يذهب – كان ينضم «إلى الرب جمع غفير». كان الصلاح قوته الدافعة، ويبدو أنه كان مستحقاً أن يدرج اسمه مع جماعة الرسل المجيدة. يُدرج لوقا بولس وبرنابا معاً كرسولين (أع ١٤:١-١٤). يذكر التقليد أن برنابا كان واحداً من السبعين رسولاً الذين أرسلهم يسوع (لو ١٠:١).

فإن برنابا كان يمتلك أحد المؤهلات المتميزة للرسل، وذلك بأنه قد رأى الرب المسيح، وتبعه أثناء خدمته الأرضية، فإن كان الأمر كذلك فمن المرجح أنه كان واحداً من الـ ٥٠٠ أخ الذين يتحدث عنهم بولس، والذين رأوا المسيح المقام (١كو ١٥:٦)، والذين كان أغلبيتهم مازالوا على قيد الحياة عندما كتب رسالته إلى أهل كورنثوس. ولكن العهد الجديد لا يذكر أي إشارة لأي تلمذة سابقة لبرنابا قبل يوم الخمسين. وهو يظهر أولاً عند إنشاء الجماعة المسيحية في أورشليم، مما يوحي أنه صار مسيحياً نتيجة للفيضان الغامر من الحماسة والتجديد اللذين ابتدءا في ذلك اليوم التاريخي، يوم الخمسين. ويمكننا أن نلخص باختصار حقائق وملامح حياته بالطريقة التالية: سوف يجد القارىء مادة إضافية في كتاب المؤلف «كل رجال الكتاب المقدس».

١- مع أن برنابا لم يكن واحداً من الاثنى عشر، إلا أنه يبرز كأهم رسول في الكنيسة الأولى إلى الأمم باستثناء بولس. إنه الشخصية المحورية في شئون الكنيسة الوليدة (أع ١١:١٩-١٥:٤١)، ويتردد اسمه كثيراً في رسائل بولس (١كو ٩:٦، غل ٢:١، ٩، ١٣، كو ٤:١٠). يضع فرانسيس بورد يلون في كتابه عن «الشخصيات الصغرى في الكتاب المقدس» برنابا بين «الأنوار الأقل لمعاناً». ولكننا لا نتفق معه في هذا التصنيف، لأنه يضيء كنجم من الطراز الأول، إنه بارز كواحد من هؤلاء الذين:

يؤثرون بإيمانهم اللامع القوي

القلوب الخائرة فتتقوى

أدهش برنابا أهل لسترة فظنوه شبيهاً بالله. في الواقع، كان لدى أهل لسترة أسطورة تقول إنه إذا نزل «الأب من السماء» ليمشي على الأرض، فانه يكون قريب الشبه من برنابا. ومهما كان السبب وكيفما كانوا مخطئين فقد «دعوا برنابا (جوبيتر) أي (زفس)» وقد حدث تأثير مماثل في تاريخ سابق، فقد تأثر أهل أنطاكية كثيراً بشخصية هذا الرسول، لأنه طول مدة إقامته هناك وتبشيره مع شاول الطرسوسي المتجدد حديثاً وآخرين في شوارع المدينة الملوثة، كان يطلق عليهم اللقب الذي ننعم نحن به الآن «مسيحيون» أو «رجال المسيح» ليحمل الانطباع بالشبه بين برنابا ورفقائه وبين المعلم الذي يبشرون به.

٢- يبدو أن برنابا كان يهودياً هلينياً (يونانياً) من عائلة قبرصية انضمت إلى كنيسة أورشليم بعد موت يسوع بوقت قليل. استقر عدد كبير من اليهود في جزيرة قبرص، ومع أن هذه الدولة غير مذكورة بالاسم بين الدول التي

سمع أهلها الرسل يتحدثون بلغتهم في يوم الخمسين، ألا أنه كان هناك بلاشك أناس من دول لم تُذكر أسماؤها. ألا تقرأ أنه «كان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم؟»

من المرجح أن برنابا قد جاء من قبرص ليكون حاضراً في العيد، وعند سماعه لبطرس وهو يكرز بالإنجيل بلغته، كان بين الـ ٣٠٠٠ نفس الذين تابوا وآمنوا (أع ٢:٤١). ومن الأدلة على أن عمل النعمة قد أجرى في قلبه تكليفه بالدور القيادي الذي أُسند إليه في كل ما أعقب أحداث يوم الخمسين الرائعة. وسواء رجع إلى قبرص ليشهد لبني وطنه أم لا، فهذا ما ليس لنا به علم، يبدو أنه بقي في أورشليم حيث أصبح شخصية بارزة، وكان بين هؤلاء التلاميذ الذين تشتتوا نتيجة للاضطهاد، عقب موت استفانوس الذي اشترك في نشر الإنجيل في كل أنحاء اليهودية والسامرة (أع ٨:١).

٣- مع أن برنابا هو الاسم الذي نعرفه به كرسول، إلا أن اسمه الأصلي كان يوسف، وقد دعاه الرسل برنابا، بعد أن أصبح مسيحياً (أع ٤:٣٦). وكيهودي بالميلاد، ومن قبيلة لاوي كان «يوسف» اسماً ملائماً لشخص أصبح يشتهر باسم برنابا، والذي يترجم «ابن التشجيع» أو «ابن الوعظ» أو «ابن التعزية» وهذا الاسم العبري، طبقاً للاستعمال الشائع في اللغة العبرية، يعني شخصاً عظيماً في مواهب النبوة أو الوعظ، ومعنى كلمة برنابا في اللغة العبرية يعني «ابن النبوة» ولوقا يقول «الذي يُترجم» «ابن التعزية» ولا يوجد تشويش هنا، لأن عبارة «الذي يُترجم» معناها الذي يُترجم من اللغة العبرية إلى اليونانية - اللغة التي كتب بها سفر أعمال الرسل.

في اللغة اليونانية تستخدم نفس الكلمة للدلالة على كل من الوعظ والتعزية، وربما قصد الرسل الذين أعطوا يوسف الاسم برنابا كلا الصفتين. ولاشك أن شخصيته تناسب المعنيين. فكابن لقوة الباراقليط «الروح القدس» نجده يفرح بالمتجددين حديثاً «ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب» (أع ١١:٢٣). استطاع برنابا أن يقدم «هذا الحافز المعزي» لأنه كان مملوءاً بالمعزي السماوي. ولقد دعاه الناس في أورشليم «ابن التعزية» بكل معنى الكلمة - فالتعزية تدل على القوة كما تدل على الرقة. يقول ج.ج جرينهوف عن اسمه ذي الدلالة البارزة ما يأتي:

«دعاه التلاميذ بهذا الاسم لأن قلبه وحياته كانا ممتلئين بالأفكار الملائمة، والدوافع النبيلة، والمحبة الدافئة، كان رجلاً روحه المتسامحة والنبيلة خالية من كل ذرة حسد وحقد، كما تثبت كل تفاصيل علاقته مع بولس، ولابد أنه كان ممتلئاً بالتحمل، وطول الأناة، والتسامح، والمحبة التي أشاد بها بولس بشدة.

وذلك ما جعله ينحاز إلى جانب إنسان مخطيء في النزاع الذي فرق بين الرجلين أخيراً.

كان برنابا «ابن التعزية» مما نفهم منه أنه كان ذا قلب حار ويد مفتوحة. كانت هناك دائماً علاقة وثيقة بين شخصيته واللقب الإضافي الذي أعطاه الرسل له، لأن حياته كلها تظهر الأدلة على موقف الشفقة ومراعاة مشاعر الآخرين بصفة خاصة. كان معروفاً في الكنيسة بأنه صاحب شخصية يوحنا بنيان «القلب الكبير» في كتاب «سياحة المسيحي» لا يجذب برنابا أنظارنا كشخص ذي ذكاء حاد، أو مقدرة هائلة أو بناءة، كما كان صديقه بولس. ومع ذلك فنحن نراه يتحرك في المشهد كالملاك الجميل، محبوباً وموثوقاً به دائماً، منحازاً بصفة دائمة إلى جانب التعاطف مع الاهتمامات البشرية العريضة، ولذلك نرى نفوذه الاجتماعي يرفعه إلى مرتبة الصدارة في الأيام الأولى للمسيحية.

٤- ليس من قبيل الصدفة أن يلقبه الرسل برنابا عند استعراض التضحية الرائعة عندما قرر أولئك الذين كان لهم قلب واحد ونفس واحدة ألا يقول أحد إن شيئاً من أمواله بل كان عندهم كل شيء مشتركاً، ولكنهم باعوا مقتنياتهم ليكوِّنوا حصيلة مشتركة يحصل كل واحد منها على نصيب متساو (أع ٤: ٣٢-٣٧).

ولما كان برنابا صاحب أرض، فقد باع أرضه وسلم كل المبلغ تماماً إلى الرسل. أما حنانيا وسفيرة فقد لقيا نهاية مأساوية لأنهما تصرفا كما لو كانا قد باعا كل شيء وأعطيا كل شيء، ولكنهما احتجزا جزءاً من ثمن ما باعاه (أع ٥: ١-١١). إن الفخر بامتلاك الأشياء يمكن أن يصبح مدمراً، ولكن الشخص المدعو يوسف سابقاً كواحد من سبط لاوي، كان يعرف أنه طبقاً للناموس، كان اللاويون ممنوعين من امتلاك العقارات، والآن، بعد أن صار برنابا فقد باع كل مقتنياته، وأعطى الحصيلة كلها. وفعل ما فعله بولس، حيث امتهن حرفة حتى يكسب لقمة العيش بعرق جبينه أثناء الكرازة بالإنجيل دون أن يتقاضى أجراً عن ذلك. يذكر بولس تلك الحقيقة الهامة عن برنابا، الذي افتقر عن طواعية لأجل الكنيسة، وقد وجد يعمل بيديه ليعول نفسه في رحلاته التبشيرية.

بعد إطلاق سراح بطرس ويوحنا من السجن عقب القبض عليهما لأجل شفاء المقعد عند باب الجميل، عقد اجتماع شكر وتم وضع أسس الاشتراكية المسيحية، وهي مقدمة مجيدة لليوتوبيا التي يحلم البعض بتحقيقها عندما يغمر السلام والبر ربوع العالم. ويغطي الأرض كما تغطي المياه البحر. لا يجب أن نخلط بين مجتمع الأخيار الذي أسسه الرسل وبين الشيوعية اللا دينية التي تسيطر على حياة ملايين البشر بالقوة.

٥- يشتهر برنابا أيضاً بأنه كان أول من قدم يد الصداقة المسيحية الحقيقية لبولس بعد تجديده المثير في ذلك الطريق إلى دمشق. قال أوغسطينوس تلك المقولة الشهيرة: لولا صلاة استفانوس لما أصبح بولس كارزاً بالإنجيل، وبالمثل فلو لم يفتح برنابا الباب لما وجد بولس باباً مفتوحاً للكرازة بالإنجيل. يمتدح الكسندر وايت برنابا لأجل استضافته لشاول المعزول عن الجميع بالقول: «لا يمكن لأي صاحب بيت مهما كان مزهواً أن يسرق هذا الشرف من برنابا، لأنه كان أول رجل صاحب نفوذ ومسئولية فتح قلبه وبيته لشاول الطرسوسي عندما كانت كل أورشليم مازالت تلقى الأحجار عليه» (أع ٩: ٢٠-٣١).

والتلاميذ في أورشليم، والذين لم يعرفوا شاول سوى كمضطهد عنيف للقديسين والذي كان ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، كانوا خائفين منه، ولم يستطيعوا أن يصدقوا أن الذئب قد تم ترويضه. ولكن برنابا الذي كان محترماً من قبل القديسين، تقدم وأظهر شفقة عظيمة نحوه، ومع أن الآخرين ابتعدوا عن شاول في خوف وشك، إلا أن برنابا قدمه إلى الرسل، وأخبرهم بقصة تجديده المعجزي وكيف أنه جاهر في دمشق باسم يسوع (أع ٩: ٢٧). لا يسعنا سوى أن نعجب بهذا السلوك النبيل من قبل برنابا في رعايته لشاول، والذي عندما أصبح معروفاً كبولس الرسول، كان يتذكر دائماً الروح النبيلة التي أظهرها «ابن التشجيع».

بعد أن أخذ برنابا شاول تحت جناحيه، وأصبح صديقه الحميم، أتاح ذلك لبولس القيام بالخدمة العظيمة التي اضطلع بأعبائها. كم كان شاول شاكراً لأن أول رفيق مسيحي له كان رجلاً ذا قلب كبير كبرنابا! وقد مضيا سوياً ليفتتحا عالماً أكبر للمسيح. وقد استطاع بولس إلى حد ما أن يتفوق على برنابا لأنه كان أذكى وأقوى شخصية من زميله والمتجند معه. ومع ذلك فعندما يذكر الرجلان في

سفر أعمال الرسل، يأتي برنابا أولاً. من الواضح أن ذلك كان المركز المعين له من قبل الكنيسة التي أرسلته. كان هذان هما الرسولين الأولين اللذين استوعبا المدى الكامل لخطة خلاص المسيح المعدة لتحتضن الجميع، ولذلك كانا أول من خاطرا بالذهاب إلى مجاهل الوثنية القاحلة لجذب العالم كله إلى السيد.

اكتمل هذا المشروع الجبار أولاً في قلب وعقل برنابا، وجسّده بولس فيما بعد وعبر عنه بأعماله التي امتدت إلى آفاق أوسع وأرحب. يذكرنا هذا الثنائي بمارتن لوثر وصديقه، فيليب ميلانكثون. فقد كان لدى الأخير والأقل شهرة، أول رؤية للإصلاح الديني، وحول الأول صاحب النشاط الأكبر، الرؤية إلى حقيقة.

أتى النور أولاً إلى برنابا، وبانضمام شاول إليه، أصبح هذان الاثنان رسولين إلى مناطق بعيدة لكونهم على استعداد لبذل أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح، (أع ١١:٢٥، ١٥:٢٥، ٢٦، غل ٢:١-١٠).

وعندما أصبح بولس أكثر بروزاً، توارى برنابا بهدوء إلى المركز الثاني، ولم يمض وقت طويل حتى انزوى في الظل حين حدث ذلك الصراع الخطير بينهما بسبب يوحنا مرقس (غل ٢:١١-١٣، أع ١٥:٣٦-٤١)، مما أدى إلى قطيعة بينهما، حيث عاد برنابا إلى قبرص (أع ١٥:٣٩)، والإشارة الأخيرة لبرنابا ذكرها بولس بعد ذلك بعدة سنوات قليلة عندما بدا الأمر كما لو كانا صديقين مرة أخرى يعملان سوياً لتحقيق هدف مشترك (١كو ٩:٦).